ملامح التّأثيل في لغة الألغاز والأمثال الشّعبية عند عبد الملك مرتاض: نماذج تحليلية

The Dialectal Aspects in Abdelmalek Mortad's Riddles and Proverbs: An Etymological Analysis

نور الهدى هاجرسي [1]*، محمد السعيد عبدلي[2]

مخبر اللّغة وفنّ التّواصل

[1] جامعة يحي فارس المدية، الجزائر، houdaabba34@gmail.com

[2]جامعة يحي فارس المدية، الجزائر، saidabelli45@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/03/03 تاريخ القبول: 2024/05/17 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص: تهدف هذه الدّراسة إلى تتبع محاولات الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض في البحث التّأثيلي عن أصول بعض الكلمات العامية التي لها علاقة بالعربية الفصحى في لغة الألغاز والأمثال الشّعبية؛ فهي الظاهرة اللّغوية التي تثير جدلا بين الدّارسين، وتشغل بال النّقاد، فكيف وضع الدّكتور بعض الكلمات العامية تحت مجهر التّأثيل في معالجة جملة من القضايا المرتبطة بفصاحتها وأصولها ضمن ممارساتها اللّسانية والأدبية؟ وكيف تجلّت هذه المحاولات في اللّغة العامية للألغاز والأمثال الشّعبية لاستكشاف مدى فصاحتها؟

باعتماد منهجي الوصف والتّحليل، وبتتبّع أسس التّأثيل عند الدّكتور مرتاض لعينة من الألغاز والأمثال الشّعبية التي بسطها في مؤلفاته وأشهرها كتابيه "الألغاز الشّعبية الجزائرية دراسة في ألغاز الغرب الجزائري" و"الأمثال الشّعبية الجزائرية: دراسة في الأمثال الزّراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري"، خلصت الدّراسة إلى أنّ لكثير من مفردات الألغاز والأمثال الشّعبية الجزائرية أصول فصيحة قد بيّنها البحث التّأثيلي عند الدكتور، وقد أدّت مقاصد بلاغية وفنّية في موروث اللّغز والمثل.

كلمات مفتاحية: تأثيل، عربية فصيحة، عربية عامية، لغز شعبي، مثل شعبي، عبد الملك مرتاض.

Abstract: This study aims to monitor the attempts of the Algerian critic Abdul Malik Murtad in the archeological search for the origins of some colloquial words related to classical Arabic in riddles and proverbs, as it is the linguistic phenomenon that provokes controversy among scholars preoccupies the minds of senior linguists and critics. Some colloquial terms under the microscope of anthropomorphism address several issues related to their eloquence and origins within his linguistic and literary practices and how these attempts were manifested in the vernacular language of riddles and proverbs to explore their eloquence. Tracing the etymological foundations at Dr. Murtad's books Algerian Folk Riddles Study in the Mysteries of the Algerian West and Algerian Folk Proverbs: A Study in Agricultural and Economic Proverbs in the Algerian West, it is evident that the vernacular language of Algerian folk riddles and proverbs has eloquent origins performing rhetorical and artistic purposes in the folklore.

Keywords: etymology; classical Arabic; colloquial Arabic; popular puzzle; such as popular; Abdelmalek Mortad.

---

* **المؤلف المرسل**

1- مقدمة:

اللّغة هي تاريخ الأمّة وحاضرها ومستقبلها، ذلك أنّها تحمل خصوصيّة الشّعب والوطن؛ فلطالما كانت الهويّة والمعتقد، والأنساب والحدود، والتّراث والثّقافة، وهي الوسيلة الأولى للتّواصل المباشر وغير المباشر، وهذا ما دفع الباحثين والدّارسين في مجالات التاريخ وعلوم اللّغة والأنثروبولوجيا يولونها اهتماما بالغا؛ وهي مادّة وموضوع أبحاثهم، زاخرة المناهل، وليس اللّساني فحسب هو المنوط بدراستها وتتبع خصائصها؛ بل الأدبي في نقده يتّخذ من اللّغة معيارا نقديا في العمل ومبدعه، خاصّة أنّ البحث في الأنساق الفنّية المعاصرة يمرّ عبر تحليل لغة العمل الأدبي، وهذا ما هو ماثل وقارّ وتدعو إليه مناهج النقد المعاصرة من بنيوية وأسلوبية وسيميائية وتفكيكية.

إنّ الباحث عن الأصول والثّوابت في الأعمال الأدبية خاصّة الشّعبية منها، وبإسقاط المنظور النّقدي السّالف، يستدعي حتما النّظر في لغتها، ومن أهمّ هذه الرّوافد المعرفية ما يعرف بعلم التّأثيل، أو الإيتيمولوجيا (etymology)، وقد استخدمه النّاقد الجزائري عبد الملك مرتاض في لغته النّقدية كثيرا أثناء تحليله مدونات الألغاز الشّعبية والأمثال الشّعبية؛ بل كان هذا الصنيع اللّساني والنّقدي عنده مميّزا وجليا في لغته النّقدية، محاولا اكتشاف أصالة لغة كلّ من المثل واللّغز، ومعرّجا على تاريخها بما بين يديه من معطيات في التّراث الشّعبي، وزاد لغوي زاخر نابع من نشأته وتكوينه العلمي، ومن ثقافته الشّعبية الواسعة، وكذلك درايته بمناهج النّقد المعاصرة.

للبحث أكثر في هذا الموضوع، الجهد التّأثيلي في اللّغة النّقدية ضمن مشروع مرتاض النّقدي، عقدنا هذه الورقة البحثية من خلال المزاوجة بين المنهج الوصفي في تقديم الأسس النّظرية حول مصطلحات ومفاهيم الدّراسة، والمنهج التّحليلي في تتبع نماذج من

الألغاز والأمثال الشّعبية التي خصّها النّاقد بتأثيل بعض مفرداتها العامية وعرضها على ميزان الفصاحة، وكلّ ذلك بهدف بيان جمالياتها في العمل الشّعبي، وتتأسّس إشكالية هذا البحث في طرح التّساؤل الآتي؛ كيف وضع الدّكتور بعض الكلمات العامية تحت مجهر التّأثيل في معالجة القضايا المرتبطة بفصاحتها وأصولها ضمن ممارساتها اللّسانية والأدبية؟ وكيف تجلّت هذه المحاولات في اللّغة العامية للألغاز والأمثال الشّعبية لاستكشاف مدى فصاحتها؟

وتهدف هذه الدّراسة إلى ثلاثة أهداف أساسية:

- رصد وتتبع منهج ومقاصد التّأثيل عند النّاقد عبد الملك مرتاض في تحليله النّقدي؛
- معرفة أثر البحث التّأثيلي في الوقوف على جمالية ورمزية الأدب الشّعبي؛
- كشف العلاقة الكامنة بين ربط البحث التّأثيلي عند مرتاض والشّحنة الدّلالية الاجتماعية والشّعبية التي يحملها اللّغز أو المثل.

2- مصطلحات ومفاهيم الدّراسة:

2-1- التّأثيل: Etymology:

شغل التّأصيل مكانة هامة ومركزا أساسيا في الثّقافة الإنسانيّة جمعاء، ممّا جعله مادة بحث غزيرة لمجموعة كبيرة من العلماء والدّارسين في مختلف المجالات والتّخصصات العلمية، ولا أحد يشكّ في كونه بوابة العلوم ومفتاحها الأول، ولكلّ علم منهج في البحث عن تلك الأصول التي تميّزه وتحدّده وتدلّ عليه في جانبه النّظري والتّطبيقي، والتّأثيل في مجالات اللّغة والأدب لا يخرج عن تلك الغاية والأهمّية.

يعنى علم التّأثيل بالبحث في أصول الكلمات والمفردات لمعروفة جذورها من خلال إرجاع الكلمة إلى أصلها الأوّل، فتجدها في اللّغة العامية ولها أصول فصيحة، والتّأثيل في اللّغة كما يقول "ابن منظور": «أثّل أثلة كلّ شيء أصّله ... وتأثل: تأصّل... وكلّ شيء

قديم ومؤّصل وأثيل ومؤثّل والتّأثيل التّأصيل»[1]، ويشبهه "آلان راي" Alain ray بالوجه الّذي محى الزّمن ملامحه، وتلعب نسبة شبه الشّيء دورا في البحث عن أصله وعائلته، وهو ما يولّد مجموعة من الأبحاث حتى تتوصّل إلى الهدف وهو أصل الكلمة؛ لأنّ الكلمات كالعائلات يجب الوقوف على قصّة حياتها قبل التّوصّل إلى أصلها[2].

حدّد طه عبد الرّحمان مفهوم التّأثيل، بأنّه تلقين المفاهيم جانبها الإشاري الّذي له صلة مباشرة بالمجال التّداولي[3]، كما أقرّ بعض الباحثين بمنهجيّة التّأثيل الّتي هي كاشفة الصّلة بين اللّغات وتطوّراتها التّاريخية، خاّصة في اللّغات السّاميّة التّي لوحظ تقاربها في مخارج الحروف وتشابع مصطلحاتها، وإنّ دلّ هذا على شيء، فإنّما يدلّ على وجود لغة أمّ ولغة أصل لهذه اللّغات الّتي تطوّرت مثلها مثل كلّ مظاهر الحياة عبر العصور ومع اختلاف الحضارات، ولا يقتصر البحث التّأثيلي على علوم اللّغة فحسب، بل يحتاجه كذلك النّاقد الأدبي في استكناه معاني النّصوص الأدبية، خاصّة الشّعبية منها.

2-2- العربية الفصحى Classical Arabic:

ورد في كتاب الصّناعتين تعريف الفصاحة بأنّها من الفعل أفصح فلان عما في نفسه، إذا أظهره، والشّاهد على أنّها الإظهار في قول العرب: أفصح الصبح، إذا أضاء، وأفصح اللبن إذا انجلت رغوته فظهر، وفصح أيضا، وأفصح الأعجمي، إذا أبان بعد أن لم يكن يفصح ويبيّن، وفصح اللّحان إذا عبّر عمّا في نفسه وأظهره على جهة الصواب دون الخطأ[4]، فكانت الأساليب والتّركيبات الموجودة فيها بسبب اعتمادها كلغة رسمية أولى، وبسبب اعتبارها هوية الأمة وسلاحها الذي يدلّ على وحدة الوطن العربي.

هي اللّغة العربيّة الرّسمية واللّغة الأولى في الدّول العربية، وهي لغة القرآن، وبها كتبت الأعمال العربية العظيمة (أمهات الكتب)، فبقيت لغة الأدب والشّعر، ولغة الصحافة،

ولغة الأستاذ مع طلابه، والمسؤول مع شعبه، فهي تستحوذ على أغلب الحوارات الرّسمية، وذلك لاعتبارها لغة البيان، وخالصة من تنافر الحروف والغرابة ومن مخالفة القياس، وهي للمتكلّم ملكة يقتدر بها على التّعبير عن المقصود بلفظ فصيح[5].

2-3- العربية العامّية (اللّهجة) Dialect:

جاء في المعاجم العربية فيما يخصّ مادة لهج بالشّيء، أنّه الولوع به، وقد لهج به بالكسر يلهج لهجا، إذا أغري به، فثابر عليه، واللّهجة اللّسان، وقد يحرّك يقال فلان فصيح اللّهجة واللّهجة[6].

من هنا يمكننا القول بأنّ اللّهجة هي مجموعة من الصّفات اللّغوية الّتي تنتمي إلى حيّز (المجتمع) الخاص بها، فلها ميزاتها الصوتية والصرفية والنّحوية لتمثّل لغة تلك المنطقة وتميّزها عن باقي اللّهجات الأخرى، والعاميّة هي لغة عامّة النّاس، ومجموع لهجاتها التي تمثّل فئة كبيرة في مجتمع ما، وهي اللّغة المتداولة بين جماعة من الناس في مكان واحد، وكلّ من شذّ أو اختلف عن تلك اللّغة الجماعية لا يعدّ من لغتهم، كما تختلف من منطقة إقليمية إلى أخرى؛ فنقول مثلا العامية الجزائرية لانحصار اللّهجات المختلفة فيها الّتي تمثّل هيكلها اللّغوي العام[7]؛ فنقول العامّية الجزائريّة، اللّهجة التّلمسانيّة، اللّهجة العاصميّة، اللّهجة السّطايفية...

وتتّصف العامّية الجزائريّة بفصاحة مفرداتها رغم التّغيرات الصّرفية والنّحوية التي مسّتها، وذلك يعود إلى حبّ الفرد الجزائري للسّهولة اللّغوية، فنجده يحذف الهمزة في الكثير من الحالات وإبدال الحروف أحيانا، ولكن كلّ هذا لم ينتشل منها فصاحتها، وإنّما كان السّبب الأول للبحث في جودتها وإزالة الزّوائد التي التصقت بهذه الكلمات الأصليّة، وفي هذا الصّدد، نجد توفيق المدني يقول: «إنّ العربية العامية الموجودة في شمال إفريقيا وخاصة الهضاب العليا والصحراء الجزائريّة ...، هي أفصح لغة عربية عامية موجودة على وجه

الأرض؛ لأن أغلب عباراتها نحو 98 بالمائة هي عبارات فصيحة قرآنية؛ بل إني أستطيع أن أؤكد بأنّ العربية العامية في بلادنا هي أفصح كثيرا وأقرب إلى لغة القرآن من العاميّة التي يتكلّمونها في اليمن، وحتى في كثير من أنحاء الحجاز»[8].

فاللهجات العامية هي لغة فصيحة يصيبها التّغيير كلّما تقدّم بها العهد ومسّها اللّحن، بالإضافة إلى العوامل الفيزيولوجيّة التي جعلتها تتسامح في تغيير النّطق والحذف أحيانا، وتغيير الحركات أحيانا أخرى لتستقر في الأخير وتصبح لغتهم اليومية التي يتعاملون بها في حياتهم اليوميّة، وهذه النقطة التي ذهب إليها الناقد الجزائري "عبد المالك مرتاض" في محاولة منه لإثبات أصالة وفصاحة بعض الكلمات التي تعدّ ركائز في اللهجات الجزائريّة، بل تعدّ موروثا يشير ويوحي بالعراقة التي تميّز المجتمع، وتفصح عن كثير من معالم ثقافته وتاريخه وهويته كذلك.

3- التأثيل في لغة اللّغز الشّعبي عند عبد الملك مرتاض:

اللغز الشّعبي من الموروثات الشعبية الواسعة الاستعمال؛ إذ يعدّ من الأشكال التعبيرية الشعبية الأكثر رواجا وشيوعا؛ فهو قديم قدم الأسطورة والحكاية الخرافية، وهو يتصف بمجموعة من الخصائص اللغوية والحمولة المعرفية التي يتأسس عليها، ويتضمّن قولا حكيما موزونا في قالب غامض ومسلي في الوقت نفسه، وسؤالا يحاول السّامع أو المتلقي الإجابة عليه بغية التّرفيه أو معرفة درجة الذّكاء، كما يبنى للغز على ترميز سيمولوجي ماتع بين التّشفير وفكّه[9].

ويعتمد اللغز بالدّرجة الأولى على إعمال العقل والذّكاء لما يحويه من لبس وغموض وإخفاء للمعنى الحقيقي؛ فهو لغة العارفين اللذين يطرحونه على الآخرين بغية امتحانهم[10]، وعرفت الألغاز رواجًا واسعًا في كافة المناطق الجزائرية، كيف لا؟ وهو يمثل ثقافتها اللُّغوية

وزبدتها المعرفية، كما أنّه عينة لغوية غنية جدًّا؛ فمن المعروف أنّ «الألفاظ التي وضعت الألغاز في معظمها استعارات وكنايات ومجازات، وهذه الظاهرة ليست عادية في هذا النوع من الأدب الشعبي »[11]، وهو ما سهل على عبد الملك مرتاض عمله النقدي، فركز على مصطلحات عديدة في العامية الغربية (التلمسانية) التي بين أصلها العربي الفصيح، من ذلك نذكر بعض الألغاز على سبيل المثال لا الحصر.

وإنّ قراءة الألغاز من منهج نقدي ينطلق من اللّغة، لها مبرراتها ودواعيها الفنّية؛ فاللغة هدف ووسيلة ووجهة أولى للتّحليل، لذلك ابتدر مرتاض في تحليله للألغاز من مقولة سوسير: " إنّ اللغة لتشبه الصفحة؛ فأما التفكير فهو وجهها، وأما الصوت فهو ظهرها ولا يمكن قطع الوجه دون قطع الظهر"[12]، ويستفاد من المقولة التي مهّد بها مرتاض أنّ اللغة هي المدخل التّحليلي الذي سيعمده في القراءة البنوية للغز في المدونة، كما يستفاد كذلك أنّ البنوية تنطلق من المستويات في تجزئة بنية الكلام؛ أي من الصوت إلى التّراكيب ثمّ ربطها بالمعنى، لهذا جعل مرتاض فصول هذا القسم من كتابه مصنّفة حسب العناصر التي يرتكز عليها التّحليل البنوي، ومنها بل أولها اللّغة.

3-1- نموذج اللغز الأول: مزوّد صُوف يبات يشوف:

لم يكن تحليل مرتاض لهذا اللّغز الشّعبي وغيره من النّماذج في مدونته لغاية التّأثيل فحسب؛ بل كان تحليلا واسعا في بنية وأسلوب اللّغز، ثمّ الشّحنة الرّمزية التي يحملها؛ غير أنّ التّأثيل يمنح تحليله تقريبا في معاني الكلمات الشّعبية بردها إلى أصولها الفصيحة؛ لذلك عمد إلى ذلك، ومنها في هذا المثال لفظ "المزود"، فاستعماله في العامية الجزائرية شائع، ويطلق على الأشياء التي يدخر فيها أصحاب الأرياف زادهم من القمح والشّعير والدّقيق؛ وهو مصنوع من جلود الحيوانات.

وأصل المزوّد في العربية الفصيحة ما يكون حافظا للزّاد، وشبيهه قربة الماء، والمعلوم أنّ المزود الآن أصبح من الآلات الطرب والعزف، لتكون بذلك القرينة بين اللغز وهذا المسمى، هو أنّ الكلب الذي يحرس حرثا أو غنما يشبه المزود في شكله وجلده، لذلك قيل "يبات يشوف"؛ أي يبيت حارسا يراقب، ليصل المتلقي في الأخير إلى حَلِّ اللُّغز وهو الحيوان الأليف الكَلْبْ، ويكون التّأثيل لأصل كلمة "المزودط تقريبا لمعنى اللغز وأوجه الشبه من خلال معرفة أصلها الفصيح[13].

3-2- نموذج اللغز الثاني: "ما هي سلسلة ماهي سكين ماهي مشروع اللبانة، فكها ولا نوض من احذانا"

حلّل مرتاض هذا النّموذج من حيث الألفاظ والتّراكيب، ووصف بأنّها من طبع أهل الأعراب، وهي؛ " اللبانة، فكها، نض، حذانا"، ثمّ انتقل إلى التّأثيل في شرح الكلام إلى تركيبة الضمير المتّصل "ها، فكها، نا، حذانا"، ثمّ تركيبة الضمير المتّصل "ها، فكها، نا، حذانا"[14]، وذلك لأجل المقارنة التّأثيلية بين العامية والفصاحة، فما كان أصله فصيحا ويفهم معناه؛ فهو يقرّب المعنى، ويسهل من شرح اللّغز ومن الوصول إلى الحلّ، والنّماذج على هذا كثيرة في الألغاز، ومنتقاة في مدونة مرتاض بالتّحليل والتّأصيل. وليس هذا مقام توسعة في النّماذج بقدر ما هي شواهد على هذا النّمط البحثي اللّساني الذي يكون بين يدي النّاقد الفذّ مداخلا لفهم الأدب ونقده.

بعد الدّراسة التّأمُّلية البسيطة لهذين اللُّغزين، نستنتج أنّ هناك تغيّرا للكلمات تطرأ عليها حتى يسهل الفرد الجزائري على نفسه نطق ما استصعبه، وهو ما تميّزت به اللّغة البدوية، كما نلاحظ أنّ الألغاز المختارة لهذه الدّراسة تتألف من ألفاظ فصيحة صراحةً، وإنّما

هي ذات أصل عربي، وهذا إن دلّ على شيء؛ فهو يدلّ على العلاقة المباشرة التي تجمع اللَّهجة الجزائرية باللُّغة العربية الفصحى.

4- التّأثيل في لغة المثل الشّعبي عند عبد الملك مرتاض:

ليس ببعيد عن اللّغز في تركيبته الأدبية الشّعبية، وفي كونه موروثا عريقا، يأتي المثل ليعبّر عن خلاصة تجربة، وحكما شعبيا مأثورا يضاهي فيه المثل ما يعرف ب "الحكمة" في أدبيات البلاغة والإنشاء الفصيح؛ ويُعْرَفُ المثل بأنّه "القول المقتضب في أصله، المرسل بذاته، المتّسم بالقبول، المشتهر بالتّداول، يأخذ قالب الجملة التي تنتقل عما وردت فيه من غير تغيير يلحقها في لفظها، وعما يوجبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب، وإن جهلت أسبابها التي أخرجت عليها"[15]، ليكون بهذا، ذلك القالب اللغوي الذي يقال مع كل حادثة مشابهة للحادثة الأولى، لذا نجد مورد المثل ومضربه.

وتتميّز الأمثال بالإيجاز والدّقة، وتحمل في طياتها ثقافة الشّعوب وفلسفاتهم، والأمثال من الأجناس الأدبية المجهولة المؤلف؛ بل مشتركة الفكر والتّأليف، فهي خلاصة التّجربة الجماعية[16] ، والمثل ابن البيئة التي صدر منها؛ بل تداول فيها، والتي أكسبته ثقافتها الإنسانية، وتراثها العريق ليمثّل في الأخير أهمّ ملامحها الفكرية.

ولهذا اهتم عبد الملك مرتاض بالأمثال، وجعلها عيّنة من عينات أبحاثه النّقدية، «ولم تكن هذه العناية في رأينا عبثا، وإنّما كانت قائمة على نظرة مهيبة إلى هذا الجنس الأدبي الذي هو كما يذكر ابن عبد ربّه في عقده (أبقى من الشّعر، وأشرف من الخطابة)، وفي خضم هذه الجهود التي تثقف في قرننا هذا في خضم الدّراسات الشّعبية، وإيمانا منا بقيمة هذا التّراث الأدبي الشّعبي »[17].

أما التّأثيل عند مرتاض للمثل الشّعبي، فقد تميّز بحثا في دراسته لأصل الكلمات العامية في مدونة من الأمثال الشّعبية الجزائرية، وذلك بتسليط الضوء على المجموعة

المستعصية على فهم المتلقي؛ مقرّا بأنّ الكلمات المتداولة في الأمثال الجزائرية هي كلمات لها علاقة مباشرة بالفصحى، وإن مسّها بعض التّغيير البسيط، فهو ما لجأ إليه المتكلم لتسهيل النطق لا غير، مولّدا هو الآخر تفاوتا بين اللّهجات الجزائرية، حتى أصبح بعضها أفضل من بعض، من أجل ذلك كان المرفوض والحوشي والغريب والفصيح من الكلام من موضوعات الدّراسة عنده[18].

4-1- نموذج المثل الأول: تْحَزْمتْ وجَات وصَابتْ لْعرس فَات.

يحمل هذا اللّغز مجموعة من الدّلالات المتكاملة، فهو في ظاهره يرمز إلى تلك المرأة التي عزمت وشدّت حزامها للذهاب إلى الحفل، لكنها لا تجد لا عرسا ولا حفلا، بل يكون كل شيء قد انتهى، ومن المعروف في العادات الجزائرية القديمة أن حفلات الأعراس سواء كانت حفلات ختان أم زفاف، كانت تقام ليلا في ليلة البدر مع صفاء السماء وظهور النجوم، وتبقى متواصلة حتى طلوع الفجر، لكن المثل في باطنه يدل على الشمس التي تشرق بعد ذهاب الليل واختفاء القمر والنجوم يكون كل شيء قد انتهى، فعلى المتلقي أن يربط كل الدلالات والتقاربات ليصل إلى مغزى المثل في ذمّ التهاون والتكاسل والتقاعس، والحثّ على اغتنام الفرص[19].

في هذا اللّغز نجد مجموعة من التّغيرات طرأت على مفرداته فجعلتها تدخل حيز العامية، فكلمة "تْحَزمتْ " هي الكلمة التي تبدو بطريقة نطقها كلمة عامية غير فصيحة، وخاصة أنّها تبتدأ بساكن، وهذا ما لا ينطبق على الكلام العربي الذي لا يبدأ إلا بمتحرك، وإذا بدأت بساكن، جاءت همزة الوصل وحركتها بأحد الحركات الثّلاث الرفع والنصب والجر، لكن وبعد التدقيق في الكلمة، وجد مرتاض أنّ أصلها "تَحَزَمَتْ" لفظا ومعنى التي تعني عقد الحزام والعزم في الأمر.

أما التّغيير في كلمة "جَاتْ"، فهو حذف الهمزة وسط الكلمة التي كان أصلها "جاءت"؛ وذلك لأنّهم غالبا ما يحذفون الهمزة أو يغيروها بحرف آخر لثقلها في الكلمة، فيستعملون ما هو أسهل وأسرع؛ فالحذف كان في مواضع عدّة كقولنا "بدات لْحرب " بدل "بَدأت الحَربُ".

4-2- نموذج المثل الثّاني: بين الفولة والسّبولة يموتوا أولاد المهبولة:

قد يبدو هذا المثل في لغته بأنّه ينتمي إلى العامية في جميع مكوناته اللغوية، نظرا لهشاشة التركيب فيه، ونظرا لكونه بسيطا وسطحيا؛ لكن فصاحة اللفظ تعطيه نسبة معتبرة ومقبولة من التّأثير والمقبولية، وهو يضرب فيما يمكن أن يلحق الضعيف من غلبة القوي وطغيانه؛ فلا يقوى بذلك على تحمل العقبات، ولا مجابهة التّحديات، ويفيد التّأثيل هنا في معرفة معنى السّبولة؛ فلو أنّنا عرفنا معنى الفولة التي هي من الأطعمة والحبوب والمدخرات، لكننا نجهل معنى السّبولة، وماذا تكون؟ وما علاقتها بالمهبولة؟

فمعرفة السّبولة من خلال التّأثيل يدلّ على أنّها نبات القمح أو الشّعير، وهو في مرحلة رمي السّنابل؛ لكن ما علاقة ذلك بالفولة؟ وطبعا هذا يتحدّد بطبيعة السّنابل التي تتميّز بالطول والعلو، لذلك نبتة معروفة بطولها وظلّها، لذلك يضرب المثل في كلّ ضحية مستضعفة تتكبد ويلات تسلط الغير من أهل القوة والغلبة[20]. وعموما قدّم التأثيل في النموذج لكلمة السّبولة وهي السّنابل، وكلمة المهبولة، وهي من فقد التّحكم في عقله وقراراته وتوازنه.

بعد الدّراسة التأثيلية لهذه المجموعة من الأمثال المختلفة التي تطرّق إليها عبد الملك مرتاض، نستنتج أنّ اللهجة الجزائرية قريبة جدا من الفصحى؛ لذا تميّزت السّاحة النّقدية الجزائرية بالنّظر في ظاهرة الازدواجية اللّغوية، لما عرف عن الكثير من الأجناس توظيفهم للعامّية، وخاصّة في الشّعبية منها على لسان الشّخصيات المؤلفة لها، بذلك كانت الرّوح الثّقافية والشّعبية فيها حاضرة حتى تعبّر عن الجمال والحقيقة معا، وهذا في الأصل ما ذهب إليه عبد الملك مرتاض، فهو لم يتخلّ عن اللغة الفصحى كلغة أولى سواء في السّرد أو

الحوار أو الوصف داخل الأدب، وإنّما استعان بالعامية لإظهار صلتها بالفصاحة وبصياغتها بأسلوب فصيح، الأمر الذي لم يكن اعتباطيا؛ بل كان مقصودا.

5. خاتمة:

من خلال ما تمّ عرضه في هذه الدّراسة، نخلص إلى أنّ البحث كان محاولة للوقوف على جهود عبد الملك مرتاض التّأثيلية ومقاصدها الفنّية في تحليله نماذج من الألغاز الشّعبية والأمثال، وبعد النّظر فيما قدّمه من نماذج وطريقته في هذا الموضوع، توصلنا إلى مجموعة من النّتائج نقدّمها كالآتي:

- التّأثيل من حيث مفهومه هو البحث في أصل الأشياء ومنطلقاتها وجذورها، وهو مبحث في حقيقته لغوي لساني، قد يستعين به المحلل النّاقد في قراءة المدوّنات الأدبية ونقدها، خاصة الشّعبية منها للوقوف على مقاصدها وبلاغتها.
- في مسعى رائد النّقد الجزائري المعاصر عبد الملك مرتاض التّأثيل تطرّق إلى أهمّ مصادر اللّغة العامية في لغة الأمثال والألغاز قصد شرحها وإثبات بلاغتها، وبراعة نسجها لغة، ودقة انسجامها معنى، وقد وجد فيها ضالته النّقدية؛ لأنّه أكّد من خلالها العلاقة المباشرة بين العامية الجزائرية والفصحى.
- ساعدت الدّراسة التّأثيلية عبد الملك مرتاض في الوصول إلى أصل الكثير من الكلمات العامية الجزائرية ومعرفة جذورها، وذلك بإزالة الغموض عنها من خلال الكشف عن التّغيرات التي طرأت عليها من جهة، وتوضيح مدى مطابقة مخارج الحروف والأصوات لبعضها البعض من جهة أخرى.

- يرجع النّاقد أسباب هذه التّغيرات التي لحقت بالكلمات إلى حبّ الفرد الجزائري للسّهولة اللغوية، والتي تتماشى مع بيئته ومجتمعه، فنجد الحذف والإبدال والتّمديد والقلب، وهذا ما ولد تشكلات نحوية وصرفية جديدة.
- يعطي التّلاحم والتّوافق بين العربية الفصيحة والعامّية الدّارجة في اللّغز الشّعبي والمثل نوعا من الثّراء اللّغوي، وهو ما يجعله رافدا اجتماعيا وثقافيا قبل أن يكون منظومة لغوية، وهذا ما يحفظ اللّغة، ويصنع الفلوكلور الشّعبي، ويجعله سهل التّداول.
- يفيدنا الجهد التّأثيلي الذي قدّمه الأستاذ مرتاض في معرفة مدى أصالة اللغز والمثل الشعّبي على حدّ سواء؛ فهو يضرب في عمق التّراث عراقة اللّغة الفصيحة التي تميّزه.

6. الهوامش والإحالات:

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، 2002، مادة أثل.

2- ينظر: سليم عواريب، الأصول الإبستيمولوجية والأنطولوجية لمصطلحي التأثيل والترشيس في اللغة، مجلة مقاليد، الجزائر، ع09، 2015، ص125.

3- ينظر: نور الدين بن زرفة، تجدد آليات ترجمة المصطلح العلمي، دراسة المصطلح الفلسفي العربي الحديث أنموذجا، مجلة التّعليمية، الجزائر، مج11، ع01، 2021، ص364.

4- أبو هلال العسكري، الصناعتين، بيروت، المكتبة العربية، دط،2001، ص04.

5- الشّريف الجرجاني، معجم التّعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة، دط، 2013، ص141.

6- الجوهري، الصحاح؛ تاج اللّغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار المعلم للملايين، ط4، 1990، م1، ص1049.

7- يُنظر: عبد المالك مرتاض، العاميّة الجزائريّة وصلتها بالفصحى، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2012، ص07.

8- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، الجزائر، المطبعة العربية، 1931، ص142-143.

9- يُنظر: نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشّعبي، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ص191.

10- يُنظر: طلال حرب، أوليّة النص؛ نظرات في النقد والقصّة والأسطورة والأدب الشعبي، بيروت، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص154.

11- عبد الملك مرتاض، الألغاز الشعبية الجزائرية، دراسة ألغاز الغرب الجزائري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1982، ص18.

12- المصدر نفسه، ص103

13- المصدر نفسه، ص34.

14- المصدر نفسه، ص34.

15- ينظر: رودولف زلهايم الأمثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التواب، بيروت، مؤسسة الرسالة، دط، 1981، ص25.

16- ينظر: عبد الرحمان حاج صالح، الأمثال الشعبية الجزائرية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1987، ص05.

17- عبد الملك مرتاض، دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص05-06.

18- ينظر: عبد الملك مرتاض، العامية وعلاقتها بالفصحى، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2012، ص29.

19- نفس المصدر، ص29.

20- نفس المرجع، ص66.

7. قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

1- عبد الملك مرتاض، الألغاز الشعبية الجزائرية، دراسة ألغاز الغرب الجزائري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1982. (نموذج الدراسة)

2- عبد الملك مرتاض، دراسة في الأمثال الزراعية والاقتصادية بالغرب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1982. (نموذج الدراسة)

3- أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط3، 2002.
4- أبو هلال العسكري، الصّناعتين، بيروت، المكتبة العربية، دط، 2001.
5- الجوهري، الصّحاح؛ تاج اللّغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار المعلم للملايين، ط4، 1990.
6- الشّريف الجرجاني، معجم التّعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، القاهرة، دار الفضيلة، دط، 2013، ص141.

ب- المراجع:

1- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، الجزائر، المطبعة العربية، دط، 1931.
2- عبد الرحمان حاج صالح، الأمثال الشعبية الجزائرية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1987.
3- عبد المالك مرتاض، العاميّة الجزائريّة وصلتها بالفصحى، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 2012، ص07.
4- طلال حرب، أوليّة النص؛ نظرات في النقد والقصّة والأسطورة والأدب الشعبي، بيروت، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1999.
5- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت.
6- رودولف زلهايم، الأمثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التواب، بيروت، مؤسسة الرسالة، دط، 1981.

ب- المقالات:

1- سليم عواريب، الأصول الإبستيمولوجية والأنطولوجية لمصطلحي التأثيل والترشيس في اللغة، مجلة مقاليد، الجزائر، ع09، 2015.
2- نور الدين بن زرفة، تجدد آليات ترجمة المصطلح العلمي، دراسة المصطلح الفلسفي العربي الحديث أنموذجا، مجلة التعليمية، الجزائر، مج11، ع01، 2021.